

شهادتان موجعتان وهداياو "ريستال" أسبوع الآلام "24 ساعة مجاعة" في الجامعة اليسوعية طلابها سهروا وصلوا وصاموا تضامناً مع السجناء

هو الحكم الذي نفذته بتممة تعاطي المخدرات والاتجار بها. يؤكد انه كان يتعاطى، لكن تهمة الاتجار الصقت بي لصقاً في احد مخافر بيروت. مع رفيقين، القي القبض عليه "بعد ضرب وتعذيب في المخفر اقرا بانني كنت تاجراً. لكنني رفضت التهمة، فعمد رجال الامن الى ضربني اكثر. ولانني كنت احتاج الى مخدرات، اقررت بانني تاجر. المرء يقر باي شيء تحت التعذيب، على امل انتهاء الامر". في السجن، كان على "خ" مواجهة سجناء قدامى لهم الافضالية والسطوة. وهذه هي الكارثة الاكبر، في النظرة حيث وضع بداية كانت الغرف صغيرة تضم سريراً واحداً، وعلى الارض ينام 4 او 5، مع حمام صغير. الغرفة حمام صغير اساساً. وعلينا ان نتناقم طوال فترة الحكم، الطعام لا يؤكل، لا برنامج حياة، ولم تكن تعمل شيئاً طوال اليوم. هكذا يختصر يومياته.

كان "خ" يعمل حلاقاً، لكن حاله تعثرت مع تعاطيه المخدرات. "المخدرات تبعد الانسان عن اهدافه، بدأتها "حشرية وجو اصحاب"، وتعلقت بها. ومن البداية، بدأت بالهيريون. كيف تدبريت امورك في السجن؟ في السجن، الحبوب المخدرة متوافرة بكثرة، لكن تحت الطاولة".

خلال ثلاثة اعوام في السجن، لم يكن "خ" يعي شيئاً بسبب حاله المتردية، "لكن لدى نقلي الى مركز التأهيل، تحسنت، وصارت الحياة شبه طبيعية". هناك امضى العامين الباقيين من حكمه، وسعى الى وضع حياته على السكة. ولكن بالعودة الى الحرية قبل نحو شهر، كانت الصعوبات في انتظاره، "احاول استعادة حياتي، لكنني أبتز بأشكال مختلفة. ورغم ذلك، سابدل جهدي لافتح محلاً واكمل حياتي".

هدايا لسجناء

الجامعيون شاركوا السجناء السابقين في يومياتهم باهتمام، خطوة خطوة، سألوهما، استوضحوهما، ناقشوهما... يمكن ان نعيش خلف قضبان السجن سجناء، كما يمكن ان نكون ايضاً احراراً وراءها". يقول مرشد حرم الكليات الطبية في الجامعة الاب زكي صادر اليسوعي لـ "النهار"، مشيراً الى ان "من اسباب اختيار السجن والسجناء موضوع السابع" الذي اطلقته الجامعة لا يزال مستمراً مع السجناء، اضافة الى رغبتنا في استكمال تجربة العام الماضي مع السجناء ايضاً". قبل الشهادتين، كان الجامعيون تحلقوا حول الاب صادر، معلنين وعد "24 ساعة مجاعة" عالياً. وبعد احيائهم درب الصليب والتقاؤهم مع الدكتور جوزف و"خ"، أمضوا ساعة من التراتيل مع جومانة مدور. ثم كانت سهرة صلاة، تخللتها مشاغل عدة، منها صناعة سبجات، والرسم على قمصان، ومشاهدة فيلم من وحي عنوان التحرك.

وفي اليوم التالي، تحرك الجامعيون مجدداً نحو سجن رومية وبعيداً ومركز "الاتحاد لحماية الاحداث" في الفنار، حيث التقوا مجموعات من السجناء المدمنين والنساء والاحداث، وقدموا اليهم هدايا عدة، منها السبجات التي صنعوها ليلاً والقمصان التي رسموا عليها، اضافة الى صابون ومحارم... وبالعودة الى الحرم الجامعي في طريق الشام، شاركوا في قداس ترأسه الاب صادر، وتناولوا الغداء معاً.



لافتة التحرك.

واحدة. وكان يتكرر الامر في الثانية بعد الظهر، والخامسة عصراً. كيف كان يستحم؟ عام 1993، استحممت 6 مرات فقط. نوعية الاكل؟ ارز او برغل، قرنبيط او كوسى مسلوقة. 6 اشهر "ميك"، و6 اخرى "ميك". التعذيب ذاق طعمه جيداً جوزف في تلك المرحلة، "مرحلة التحقيق". كنت اقاد الى غرفة التحقيق مغمض العينين، حيث كان يتولى ضباط التحقيق معي. وبعد سؤال، كان يطبلت من السجن اقتيادي الى غرفة اخرى لتعديبي وضربي. واذا لم يكن صراخي عالياً كفاية، كان السجن يتعرض للعقاب. لذلك، كان يتوجب علي ان يضربني بطريقة صحيحة. يدها لا تزالان تحلمان آثار التعذيب. "لو لم اكن طبيباً، لما تمكنت من معالجتها. بملعقة بلاستيك غسلتها، اعدت العصب الذي انسلخ الى مكانه، وضمدت الجرح بكييس نيلون". يقول: "الكرامة مثل بالون يغلف كل انسان، لكننا تنفجر مع اول صفة، وبالنسبة الى بقية الصفات او الضرب، يجب ان يقاوم المرء لتلقي الصدمات. عندها يرتفع الادريالين اكثر، وتزيد المقاومة... كنت اعز بقضيتي، وانا مستعد لاسجن مجدداً من اجل القضية نفسها. مع الوقت يكبر المرء مع قضيتي، وهي التي تعطيني مقاومة (...)".

طوال اعوام الانفرادي، صلي الطبيب كثيراً. "من يمر بمرحلة مماثلة، يتعلق اكثر بالله، وحدها التي تعطيني مقاومة (...)".



الدكتور جوزف يتحدثنا الى الجامعيين الصائمين.

كثبت هالة حمصي: اليوم، اصبح الدكتور جوزف طبيباً في السجن، يساعد السجناء انطلاقاً من معرفة جيدة بمعاناتهم وحاجاتهم. لانه عاشها احد الايام "في اوضاع صعبة للغاية"، وتحديداً في السجون السورية. واذا كان يذهب الى السجن ليكون طبيباً، مع انه يعمل في امكنة عدة اخرى، فلانني اكون سعيداً اكثر هناك، وأشعر معهم بفرح داخلي، يصارح جمفاً من الجامعيين تحلقوا حوله، "صائمين"، متشوقين الى اللقاء.

الدكتور جوزف كان احد ضيوف طلاب جامعة القديس يوسف في تحركهم السنوي "24 ساعة مجاعة"، والذي يصومون فيه، ككل سنة، 24 ساعة، على نية السلام في العالم والمحبة في القلوب ومعاناة البشرية... بدعوة من "العمل الرعوي الجامعي" في الجامعة، وبالتعاون مع الميثاق الطلابية. وهذه المرة، كان "السجناء والسجون" الموضوع الذي اختاروه لتحركهم.



مسيرة صلاة ليلية على ضوء الشموع.